ينشر لأول مرة

مُقترح لحل مشكلة الصحراء الغربية

حسن البدوي
كاتب وباحث في التاريخ الحديث والمعاصر
الدوحة — دولة قطر
hassan_elbadawy@hotmail.com

نجح الاستعمار الأوروبي رغم رحيله بجسده عن قارتنا الإفريقية في غرس بذور الشقاق والنزاع بين الأخوة والجيران في البلاد التي كان يحتلها ؛ الأمر الذي حال دون تذوق تلك الشعوب طعم الحرية ، وبدلاً من أن يُولي حكامها جُل اهتمامهم لتنمية الموارد وإصلاح ما أفسده المستعمر ، انشغلوا بنزاعات حدودية على بضع أمتار هنا وأخرى هناك ؟! فتشتت الجهود وضاعت الموارد ، وظل الشعب على ما هو فيه من عوز وجهل.

ومع ما نادى به البعض من ضرورة الاحتكام إلى المجالس والجمعيات الأممية لحل تلك النزاعات ، لذا سلكت بعض الدول هذا الطريق ، إلا أن ما ضاع من سنوات دون جدوى داخل أروقة تلك الهيئات ، أثبت أن ازدواجية المعايير وتحيز تلك الهيئات ، لا يُمكن أن يأتي بحل — عادل- إذا ما تعارض هذا الحل مع مصالح الدول ذات المصالح العليا في العالم ؛ الأمر الذي جعلنا مدفوعين للبحث عن وسائل بديلة لحل لتلك النزاعات.

وطرحنا اليوم يتعلق بمحاولة إيجاد حل سلمي لأحد مشاكلنا الحدودية ألا وهي مشكلة (الصحراء الغربية) المتنازع عليها من كل من المغرب وجبهة البوليساريو - المدعومة من قبل الجزائر- والنزاع حول الصحراء مشتعل منذ أكثر من ثلاثة عقود ، منذ أن رحل الاستعمار الفرنسي والأسباني عن المنطقة مُخلفاً فكراً فاسداً عكر على الناس صفو حريتهم ، ولن نخوض في جذور هذا الصراع ودوافعه ومن المستفيد من استمراره ، ولكننا سنتوقف ببعض محطاته الرئيسية كي تتضح الرؤية وما آلت إليه الأمور ، مُنتهين بذكر بعض النقاط التي ربما كان الانتباه إليها سبباً في إنهاء هذا النزاع.

تقع الصحراء الغربية في أقصى الشمال الغربي لقارة إفريقيا ، وتشترك حدودياً من - جهاتها الثلاث- الشمالية والشرقية والجنوبية مع كل من المغرب والجزائر وموريتانيا ، وتطل بكامل سواحلها من جهة الغرب على المحيط الأطلنطي ، وكانت كل من فرنسا وأسبانيا قد فرضتا سيطرتهما على معظم بلدان شمال إفريقيا ، فكانت الصحراء الغربية ضمن منطقة النفوذ الأسباني ، وعندما بدأت دول شمال إفريقيا في التحرر ، ظهرت مشاكل حدودية بين معظم تلك البلدان فبين الجزائر والمغرب نشأت مشكلة حدودية في منطقة (تندوف) ، أما الصحراء فقد طالب بها المغرب في - المحافل الدولية- منذ استقلاله عام ١٩٥٦م. وعقب حصول موريتانيا على الاستقلال عام ١٩٦٠م طالبت هي الأخرى بالصحراء ، وفي منتصف السبعينات ومع احتدام النزاع حول الأحقية في الصحراء ، ظهرت في الصحراء "جبهة البوليساريو" التي طالبت باستقلال الصحراء ، الأمر الذي أدى إلى اندلاع صراع مسلح بين الجبهة وكل من المغرب وموريتانيا ، ومع تزايد الضربات الموجعة للجبهة على الجانب الموريتاني ، وبعد تسوية بعض الأمور بين موريتانيا والمغرب تنازلت موريتانيا عن أي مُطالبة لها في الصحراء ، لينحصر النزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو.

أدى النزاع الحدودي بين المغرب والجزائر ، إضافة إلى تشكك النظام الحاكم في كلا البلدين في نوايا الآخر ، إلى تبني حكومة الجزائر لجبهة البوليساريو نكاية في المغرب ، فأمدتها بالدعم المادي والعسكري والسياسي ، وسمحت لها بالإقامة على أراضيها في مُخيمات بمنطقة تندوف ؛ التي أصبحت مُستقر ومُنطلق للجبهة حتى الآن.

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
حسن البدوي ، مُقترح لحل مشكلة الصحراء الغربية.- دورية كان التاريخية.- العدد السادس ؛ ديسمبر ٢٠٠٩. ص ٦٦ — ٦٨ .
(www.historicalkan.co.nr)

وفي محاولة لحل مشكلة الصحراء تم عرضها على هيئة الأمم المتحدة ، إلا أن اختلاف وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة حال دون إيجاد حل للمشكلة لأكثر من ثلاثة عقود ، فما يُطالب به المغرب من حق ثابت في الصحراء — بناءً على ما لدية من براهين- يتعارض مع ما قالت به محكمة العدل الدولية في أكتوبر ١٩٧٥م ، والتي لم تعترف للبراهين المغربية بالقوة الكافية للمُطالبة بالصحراء.

وإن كان الطرح الأول لحل مشكلة الصحراء قد ارتضى الاحتكام إلى الاستفتاء ، إلا أن هذا الطرح قد باء بالفشل لوجود اختلاف آخر جوهري حول من له الأحقية في التصويت في الانتخابات ، ناهيك عن الخلاف حول مفهوم — الاستفتاء- نفسه ، والذي فسره كل طرف بطريقة مُغايرة ، ففي حين اعتبرته جبهة البوليساريو والجزائر أنه الاختيار ما بين الانضمام إلى المغرب أو الانفصال عنه ، فسره المغرب بأنه يُمكن أن يتمثل في أي شيء دون اقتطاع أي شبر من أراضيه.

وخلال العام الماضي عُقدت الآمال على المُقترح المغربي لحل النزاع بمنح الصحراء حكماً ذاتياً يُؤمن لها إدارة شئونها والاستمتاع بمواردها ، فضلاً عن الاستفادة من الانتماء لبلد مثل المغرب بما له من ثقل في المنطقة ، وبالرغم من التأييد الذي لاقاه المُقترح من العديد من الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وأسبانيا ، إلا أن تشدد البعض أدى إلى انفضاض جولات المباحثات الأربعة التي عقدت في (مانهاست) دون التوصل لأي حل جدي ، الأمر الذي أطاح بما عُقد على هذا المقترح من آمال ، وها نحن اليوم نتابع جولات الدبلوماسي الأمريكي ، (كريستوفر روس) مبعوث لأمين العام للأمم المتحدة ، بان كي مون ، إلى الصحراء ، من أجل إيجاد حل لتلك المشكلة.

إن الوضع العالمي الآن يدفع إلى تكوين الأحلاف والتجمعات الكبرى بين الدول ، ناهيك عن توحيد العملة وفتح الحدود ، ولم يعد هناك مجال للانغلاق والتقوقع ، لذا فإن أي مُحاولة للسباحة عكس التيار ستبوء حتماً بالفشل ، والدعوة إلى لم شتات الأمة أمر واجب ، والبحث عن ملجأ ومُحتمى للشعوب الضعيفة وقليلة العدد التي لا يُمكن أن تستقيم حياتها بمفردها واجب أيضاً ، خاصة إن كان بإمكانها الاحتفاظ بهويتها المُميزة ، وتنعم بالأمان وحسن الجوار بوجودها داخل كيان كبير له وزنه ومكانته ، والأمثلة على هذا كثيرة فأكبر قوة عالمية الآن - الولايات المتحدة الأمريكية- مكونة من عشرات الولايات لكل منها صفاته واستقلاليته بالرغم من انتظامها جميعاً تحت راية واحدة.

إن حق الشعوب في تقرير مصيرها حق أصيل ، لكن حل مشكلة الصحراء لا يُمكن أن يكون بتمزيق الكيان العربي والإفريقي ، بإيجاد دولة قزمية في المنطقة ، يُمكن أن يجر وجودها القارة بأكملها إلى مزيد من التفكك والتدخل الأجنبي في شئونها ، ولما كان - درء المفسدة مُقدم على جلب المنفعة- لذا فإن حل هذا النزاع يكمن في إفساح المجال للصحراويين للتعايش والاندماج مع عائلاتهم وذويهم المغاربة ، فالقبائل الصحراوية مُنتشرة في المنطقة بأكملها ، وصلات الرحم والقربى أقوى من أن تمزقها حدود وهي كفيلة بضمان تماسك الكيان البشري للمنطقة تحت راية قوية موحدة ، لذا فإن من الواجب اتخاذ بعض الإجراءات التي ستساعد الصحراويين على اتخاذ القرار الصائب لرسم مستقبلهم ، وهو ما نوجزه في الأتي:

- يجب أن يصفو الجو وتمد جسور الثقة بين المغرب وجبهة البوليساريو ؛ بالقضاء على المنتفعين من استمرار النزاع الصحراوي أياً كانت حيثيتهم ، فليس بخافٍ على أحد أن الملايين من ميزانية كل من المغرب والجزائر تنفق على هذا النزاع ، وبطبيعة الحال تنال جماعة المنتفعين النصيب الأكبر من تلك الأموال ، دون مراعاة لحق الشعب فيها ، ونشير هنا إلى بعض (القادة العسكريين ، وتجار السلاح ، والشبكات الإرهابية التي يتسرب إليها جزء من تلك الأموال والأسلحة).
- يجب تحييد الجزائر وإخراجه عن دائرة النزاع ، الأمر الذي يدعونا للوقوف على الأسباب الحقيقية للدعم الجزائري لجبهة البوليساريو ، وهو سريان روح المنافسة بين كل من الجزائر والمغرب للظهور بمظهر الدولة ذات السيادة في المنطقة ، ناهيك عن النزاع الحدودي بينهم ، فإذا أضفنا إلى هذا تشكك الجزائر تجاه أي توسع مغربي في المنطقة ، فضلا عن رغبة الجزائر في الحصول على بعض الامتيازات في الصحراء ، لأدركنا المآرب الجزائرية بكل وضوح.
- وعلى هذا فإن تحييد الجزائر يستلزم بذل ثمنٍ مادي وأدبي كتعويض لما أنفقه في مساندة الصحراويين لأكثر من ثلاثة عقود ، ناهيك عن ضرورة تقديم المغرب لبراهين قوية على حسن نواياه ، وعدم نيته التسلط في المنطقة حال استئثاره بالصحراء ، الأمر الذي يُمكن أن يتمثل في التعهد بمنح الجزائر بعض الامتيازات ، كأن يكون له منفذاً بحرياً على المحيط الأطلنطي ، أو أن يُرخص له بالصيد في السواحل الصحراوية ، أو المشاركة في استخراج الثروات المعدنية الصحراوية ، أو منحه حق الانتفاع بها بأسعار مناسبة ، على أن تكون تلك التعهدات واجبة التنفيذ وغير قابلة للنقض إلا في حالات استثنائية - يتم الاتفاق عليها بين الجانبين- وهنا تجدر الإشارة إلى إمكانية استفادة المغرب من الخبرة الجزائرية في مجال التعدين والبترول.
- يجب مساعدة قادة الجزائر على تخطي أي عوائق تحول دون مُضيهم في طريق الحل السلمي للمشكلة ، وذلك بإيجاد مُبرر مقبول أمام مواطنيهم حال انسحابهم من الساحة بعد ثلاثة عقود من دعم الصحراويين ، وذلك عن طريق إقامة علاقات ودية بين البلدين بتنظيم زيارات للمسئولين المغاربة إلى الجزائر ، ودعوة ساسة الجزائر لزيارة المغرب حفظاً لماء الوجه ، على أن يُبالغ الإعلام في كلا البلدين في عرض تلك الزيارات على الجماهير ، مع الإشادة بالجهود المحمودة للجزائر في إنهاء الصراع ؛ الأمر الذي يُمكن أن يُيسر أمر - تخلي- القادة المتشددين عن موقفهم ويُبرأ ساحتهم أمام شعبهم ، فلا يُتهموا بتبديد أمواله ، ناهيك عن ظهورهم بمظهر الحريص على روح الإخاء وحسن الجوار مع كل من الصحراويين والمغاربة.
- بعد أن يتم تقريب وجهات النظر بين المغرب والجزائر ، يُفتح باب الحوار مع قادة البوليساريو لإقناعهم بفكرة الاندماج ، والتي يُمكن أن تشمل منحهم بعض المناصب في الدولة ، ناهيك عن المنح المادية والأدبية التي يُمكن أن يجدوا فيها عوضاً عن ما يتبوءونه من مناصب داخل جبهة البوليساريو ، إلى غير ذلك من الوسائل ، وفي هذا المجال يُمكن الاستعانة بالتقارير المُخابراتية عن كل شخصية منهم على حدا ، لانتقاء العناصر الأكثر ليونة وفعالية.
- يتم تكثيف المادة الإعلامية في الوسائل المرئية والمسموعة والمقروءة ، بحيث يُهيئ الرأي العام الصحراوي لتقبل فكرة الاندماج ، وهنا يتم الاستعانة بالقادة الصحراويين الذين اقتنعوا بالفكرة ، ببث لقاءاتهم ونشاطاتهم الإعلامية ، الأمر الذي سيوسع الهوة

بين الصحراويين والقادة المتشددين ، كما يُمكن الاستعانة بالخبراء النفسيين ، والمُتخص صين الإعلاميين لصياغة بعض الألفاظ والبرامج التي يُمكن أن تد عم هذا المسار.

● إلحاق المُثقفين الصحراويين بالوظائف الحكومية والأماكن العامة في العاصمة والمدن الرئيسية ، فضلاً عن تسهيل التحاق الطلبة الصحراويين بالجامعات المغربية ، حبذا لو أعفوا من الرسوم الدراسية ، أو مُنحوا بعثات دراسية مجانية في الخارج.

● إقامة مسابقات رياضية وفنية وأدبية وعلمية يشارك فيها الصحراويين ، حبذا لو حصلوا على المراتب الأولى فيها ، الأمر الذي سيُشعرهم بانتفاء أي ظلم أو تهميش لهم.

● زيادة مشاريع الإنماء والتعمير بالمناطق الصحراوية ، خاصة في المجال الطبي والتعليم الأولي ومحو الأمية وتعبيد الطرق ، ناهيك عن إقامة خطوط مواصلات في المناطق النائية ، الأمر الذي يُمكن تركه للأهالي أنفسهم بتيسير أمر شراءهم لسيارات نقل الركاب بأقساط مُيسرة ، فتصبح بذلك مصدر كسب مادي أيضاً.

● يتم التركيز على محو أمية النساء الصحراويات ، وتوفير فرص عمل منزلية لهم ، إذ سيؤدي رفع مستواهم التعليمي ، فضلاً عن شعورهم بأنهم أصبحن يستطيعون كسب المال إلى زيادة نفوذهن داخل الأسرة الصحراوية ؛ وبذا يكونون أداة لتشكيل عقول ومفاهيم الطفل الصحراوي ، ناهيك عن مُقارعتهم الحجة لأزواجهم ، لعلمهم أن سلوك أي طريق مُخالف للاندماج يُمكن أن يُفقدهم ما انتظمت عليه حياتهم. وفي هذا المجال يُمكن الاستعانة بأهل المنطقة لمعرفة الحرف المنزلية الأكثر رواجاً ، ولا مانع من توفير بعض ماكينات الإنتاج المنزلي بأقساط مُيسرة ، أو أن يوزع بعضها كجوائز لمن يجتزن اختبارات محو الأمية بتفوق.

● يُصدر المغرب عفواً عن المطلوبين الصحراويين ، مع غض الطرف عن تنقلات لاجئي تندوف من وإلى الصحراء ، ناهيك عن توفير فرص عمل ومساكن مناسبة للصحراويين الفارين من المُخيمات ، وبذا يتم تفريغ المُخيمات إلا من المُتشددين ، الأمر الذي سيُسهل أمر التحاور معهم بمساعدة الجانب الجزائري.

● يتم العزف على أوتار الوشائج وصلات الرحم والقربى بين القبائل المغربية والصحراوية ، بالاستعانة بقادة القبائل وكبرائها في تقريب وجهات النظر ، ودعوة أقاربهم الصحراويين للاندماج معهم في الكيان المغربي ، مع إمكانية الترويج على مستوى الأفراد لمقولة (لا يهُمنا من يحكم البلد ما دمنا ننعم بالحياة فيه) ، أو ما شابهها من مقولات يُمكن أن تقوي الانتماء إلى الوطن أكثر من الانتماء إلى جبهة أو سلطة مُعينة.

● إن نجاح ما تقدم سيشعر الصحراويين بالانتماء لهذا الكيان الذي وفر لهم الأمان والامتيازات المادية والأدبية ، فيتعلقون به تعلق الوليد بأمه ، ويستعان هنا بأساتذة الجامعات وخبراء الإعلام وأجهزة الاستخبارات ، وكل من له دراية بالحالة النفسية والاقتصادية للمنطقة ، لوضع خطة للإدماج طويلة الأمد ، مع مراعاة عدم تعجل النتائج ، فلابد من اجتياز بعض العقبات ، لعل أقواها تشدد بعض القادة الذين لا يُمكن تغيير أفكارهم أو استمالتهم ، وآنذاك سوف لا نملك إلا الانتظار حتى يتنحوا عن مناصبهم ، بتقدم العمر أو بالوفاة ، لذا فإن التركيز يجب إن يكون على الجيل الجديد من الصحراويين وعلى الصف الثاني والثالث الذي سيتولى أمر الصحراء بإذن الله.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

- يهتم المركز بالدراسات التاريخية والأدبية والفكرية، والدعوة لإعادة النظر بكتابة التاريخ الإسلامي وتنقيته مما علق به من شبهات ومرويات دخيلة، والدعوة لإعمال قواعد علماء الجرح والتعديل لتمحيص المرويات التاريخية.
- نشر الدراسات الجادة التي تعنى بالتاريخ الإسلامي، واستضافة بعض الشخصيات الهامة التي لها باع في الدراسات التاريخية.
- التعامل مع القضايا الساخنة من خلال رؤية تاريخية، وإعادة الاعتبار لرموز الأمة وقادتها وعلمائها.
- الرد على أباطيل وشبهات المستشرقين والعلمانيين الذين يهتمون بالتاريخ الإسلامي، والاهتمام بالدراسات التاريخية التي تعنى بمستقبل الأمة الإسلامية ونهضتها.

www.almaqreze.net

Almaqreze Centre
For Historical Studies
UK - LONDON

hanisibu@almaqreze.net